حوارٌ مَعْ أُسقُفٍ قبْطِي حَولَ

الشركة في الطبيعة الإلهية

دكتور جورج حبيب بباوي

حوارٌ مَعْ أُسقُفٍ قبْطِيٍ

حول
الشركة في الطبيعة الإلهية

دكتور
جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

الكتاب : حوار مع أسقف قبطي حول الشركة في الطبيعة الإلهية
الكاتب : الدكتور جورج حبيب بباوي
الناشر : جذور للنشر – ت: ٢٦٣٣٨١٣٧
الطبعة : الأولى ٢٠١٦
رقم الإيداع : ٢٠٠٩٣ / ٢٠١٦
المطبعة : جي سي سنتر ت: ٢٦٣٣٨١٣٧
١٤ ش محمود حافظ . ميدان سفير . مصر الجديدة

تقديم

إن علاقتنا بالمسيح هي بواسطة الله نفسه، أي الروح القدس. نحن نصلي للرب لأن الذي يفتح لنا مجال الصلاة هو الروح القدس، والذي يعطي لنا رجاء الصلاة هو الروح القدس، بل عندما نعجز عن الصلاة يشفع فينا الروح القدس (رو ٨: ٢٦)، وهذا يعني أنه لو كانت الشركة في الطبيعة الإلهية مقطوعة تماماً، أي لو كانت غير موجودة بالمرة لوجب علينا أن نقول إن وساطة المسيح وحدها هي الوساطة الوحيدة، ولكن لأن الرب يسوع نفسه قال إنه سيرسل معزياً آخر، وقال "ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويعطيكم" (راجع يو ١٤: ١٦)، لم تعد علاقتنا بالمسيح مجرد أفكار ومشاعر وكلمات، بل هي حلول الله الروح القدس فينا لكي نصلي في الله إلى الله، أي لكي ندخل دائرة الشركة الثالوثية. ندخل في المسيح المتَّحد بالطبيعة الإنسانية التي تنوب عنا، ونبقى في الروح القدس الذي يفحص أعماق الله، ويعلن لنا كل شيء عن محبة الله. مما يعني أن الله هو الوسيلة إلى الله.

الدكتور جورج حبيب بباوي

نص الحوار

تقابلت مع أحد أساقفتنا «الأحرار»، و«الصامتين»، وقد طلب نيافته عدم ذكر اسمه. وطلبت تسجيل الحوار، فقال: بشرط أن يُنشر مكتوباً لا مسموعاً. وافقت على الفور. قال لي: «أنت عارف الجو اللي أحنا عايشين فيه، ولو تركت مكاني سوف يأخذه آخر لا يعرف شيئاً عن التعليم». وقبلت. وهذا هو الحوار كاملاً دون حذفٍ أو إضافة.

الأسقف: موش التعليم بالشركة في الطبيعة الإلهية هو دعوة للشرك بالله؟

د. جورج: ده موش صحيح. أول من صاغ هذا الاتهام هو قداسة البابا شنودة — غفر الله له هذه السقطة الشنيعة — والشرك بالله هو أن يُضافُ آخراً إلى الله لكي يُعبد مع الله، ولكي يشارك الله في كل شيء. أمَّا أن ينال كل مؤمن شركة في الطبيعة الإلهية لكي يُعبد مع الله، فهو تصوُّر غير صحيح؛ **لأن اشتراك الكل لا يعني بالمرة أن يصبح واحداً منهم شريكاً لله يُعبد. وشركة الكل تنفي تماماً خطية الشِّرك.** العكس هو الصحيح؛ لأن الشركة في الطبيعة الإلهية هي دعوة لعبادة مسيحية حسب إنجيل المسيح. أي أننا نعبد الآب في ابنه يسوع المسيح الساكن فينا بالروح القدس الرب المحيي الذي يشفع فينا (رو ٨: ٢٦).

الأسقف: أرجوك حدد كلامك علشان نفهم.

د. جورج: حاضر. يقول الرسول بولس: ''لكي تجثو كل ركبة ... ويعترف كل لسان أن ''يسوع هو ربٌ لمجد الله الآب'' (فيلبي ٢: ١٠). هذه عبادة حسب مجد المسيح، وحسب التدبير. نحن نصلي بالروح القدس، والروح القدس الساكن فينا هو الذي ينادي الآب ''أرسل الله روح

ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبَّا أيها الآب'' (غلا ٤: ٤). نحن لا نعبد الله كما عبده شعب العهد القديم، ولكن لأن المسيح فينا كرأس الجسد الواحد، الكنيسةُ تقدِّم به وفيه كل الصلوات. نحن لا نستطيع أن نعبد الله عبادة حقيقية مسيحية أرثوذكسية بدون الشركة في الطبيعة الإلهية؛ لأن كل صلاة هي في الابن وبالروح القدس. وعندما ندعو الآب أبانا، فهذا مصدره عطية التبني التي أُعطيت لنا بسلطان الآب نفسه ''وأمَّا كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله، أي المؤمنون باسمه''، وبعد ذلك يقول: ''وُلِدوا من الله'' (يو ١: ١٢ – ١٣).

الأسقف: لازم نفصل بين سُكنى الروح القدس، وعطية التبني، والشركة في الطبيعة الإلهية.

د. جورج: ليه؟

الأسقف: هذه ثلاثة موضوعات منفصلة ولكل منهم جانب خاص. أنت سيَّحت الثلاثة على بعض. أمَّا إذا فصلنا يبقى واضح إن سُكنى الروح القدس فينا ليست هي عطية التبني، وحتى عطية التبني ليس لها علاقة بالشركة في الطبيعة الإلهية.

د. جورج: سيدنا، هل تؤمن بوحدة حياة وجوهر الثالوث القدوس؟ إن ما يفعله أي أقنوم أو يعطيه أي أقنوم لا يلغي ولا يفصل شركة الأقنومين الآخرين. يعني إذا صار لنا عطية التبني، فهذا عائد إلى الأب الذي يُولد منه الابن، وعائد إلى سُكنى المسيح فينا، وهي سُكنى ليست من إرادة بشرية، بل هي عطية من عطايا الآب لنا وتوهب بالروح القدس.

الأسقف: إزَّاي؟

د. جورج: لما كوَّن الروح القدس جسد أو ناسوت الرب يسوع في القديسة مريم، أصبحت كل علاقة بين أي مؤمن بالمسيح، والرب يسوع هي من هبات الروح القدس، ولذلك يقول الرسول بولس: ''لا يستطيع أحد أن يقول إن المسيح ربٌ إلاَّ بالروح القدس'' (١كور ١٢: ٣)، ولاحظ أن كلام الرسول بولس في غلاطية ٤: ٤ واضح؛ لأن الآب أرسل الابن لكي يُولد من امرأة تحت الناموس لكي ننال التبني، ثم ''بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبَّا أيها الآب''، فأين الفصل؟ التبني هو شركتنا في بنوة الابن.

الأسقف: يا أخي أنت بتحب ترص كلام كبير. إزَّاي أحنا البشر الخطاة نشترك في بنوة الابن؛ لأن الابن هو ابن الله الوحيد، ولا يوجد معه أبناء، فكيف تسمح لنفسك أن تصبح شريكاً للابن في بنوته؟

د. جورج: بقية نص غلاطية ٤: ٧ يقول: ''إذاً لست عبداً، بل ابناً، وإن كنت ابناً فوارثٌ لله بالمسيح''. أنت عارف يا سيدنا إن الاقتباس من الآباء مرفوض، بل وحتى تدريس الآباء في الإكليريكية هو أيضاً ممنوع، والمنهج البروتستانتي يحكم كتابات عدد كبير من الإكليروس لا داع لذكره، لذلك أنا هنا ها اكتفي بما ورد في نصوص الكتاب المقدس. يقول الرب يسوع: ''أنا هو الألف والياء ... من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً'' (رؤ ٢١: ٧). وعندما يقول الرسول ''مشابهين صورة ابنه'' (رو ٨: ٢٩)، فهذه بالتأكيد مؤكدة في عبارة الرسول نفسه ''أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا'' (١كور ١: ١٩). الخطير هو تحذير الرب يسوع نفسه كما ورد في رسالة يوحنا ''من له الابن فله حياة ومن ليس له الابن فليست

له حياة'' (١ يو ٥: ١٢). ألا ترى إن إنكار شركتنا في بنوة الابن هو أشبه بمن يلاشي بالديناميت بناية كاملة لمجرد أنها موش على مزاجه؟

الأسقف: ده كلام كبير عليَّ وعليك، وأنت كده جعلت نفسك مساوي للرب يسوع، بل صرت مثله. هل هذا مقبول أن تجعل ذاتك أزلياً. لا أظن أن ضميرك يقبل هذا.

د. جورج: الرب يسوع هو ابن الآب الأزلي، أمَّا الشركة في بنوة الابن، فهي شركة مخلوق هو أنا وأنت وكل المؤمنين. والحد الفاصل هنا هو تجسد الابن نفسه؛ لأن جسد المسيح ليس أزلياً، بل اشترك في أزلية اللاهوت، رغم أنه وُلِد في الزمان.

الأسقف: يعني أيه؟

د. جورج: يعني أن الابن ربنا يسوع عندما تجسد لم يصبح الناسوت أزلياً، ولا فَقَدَ الطبيعة الإنسانية التي أخذها من والدة الإله، فلماذا أفقد أنا طبيعتي التي أخذتها من آدم؟ **لقد حفظ التعليم الرسولي اسم "آدم" لكي يؤكد بقاء إنسانيته، أي إنسانية يسوع**. ألا ترى يا سيدنا أن السؤال الذي سألته الآن هو نوعٌ من ضعف أوطاخي، أي أنك ترى أن الشركة في الطبيعة الإلهية هي ذوبان الإنسان في الله مثلما ذاب الناسوت في اللاهوت بحسب أوطاخي. ولكن حدود الشركة كما حددها الآباء، وبشكل خاص القديس كيرلس السكندري: ''بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير''، فإذا كان الناسوت قد ظل كما هو طبيعة إنسانية ممجدة في الابن بسبب الاتحاد ولم يتحول الناسوت إلى كائن آخر أزلي بجانب اللاهوت، بل اشترك في كل صفات الابن حسب التدبير، لماذا لا نطبق ذات المبدأ علينا؟

الأسقف: لديَّ اعتراض على تعبير «كل صفات الابن»؛ لأن «كل» لا يجب أن تُستخدم للعلاقة مع الله.

د. جورج: لقد قلت «كل صفات اللاهوت، أو الابن حسب التدبير»، وليس على وجه الإطلاق؛ لأن التدبير له حدود، وهي بقاء الناسوت.

الأسقف: لكن ما ذكرته خاص بالسيد المسيح وحده.

د. جورج: أرجو أن توضح كلامك.

الأسقف: ليس كل ما يقال عن الرب يسوع خاص بنا نحن البشر.

د. جورج: كل ما يقال عن الرب يسوع الابن المتجسد هو إعلان عن علاقة جديدة أبدية لم تكن متاحة من قبل.

ولديَّ سؤالٌ هام: هل يوجد نوعين من البنوة، الأولى أزلية والثانية زمانية؟ أقصد أنه عندما تجسد الابن وصار إنساناً، هل صارت صفة البنوة وهي صفة الأقنوم الثاني في الثالوث خاصة باللاهوت دون الناسوت؟

الأسقف: ما اقدرش أقول إن صفات اللاهوت خاصة باللاهوت وحده؛ لأن هذا يؤدي إلى تقسيم المسيح.

د. جورج: إذن كان الناسوتُ مُشترِكاً في بنوة الابن؛ لأن المتجسد هو ابن الله المتجسد الذي لم يفقد بنوته عندما تجسد، ومع ذلك لم يصبح الناسوت أزلياً. أنا مستعد لأن أقول، وأريد العودة إلى آباء الكنيسة لكي أؤكد أن ما أقوله صحيح، **وهو أن الناسوت اشترك في أزلية الابن دون أن يتحول إلى كائن أزلي، وأعني بذلك أن قوة وكمال الاتحاد الأقنومي في الرب الواحد يسوع المسيح جعلت الناسوت يشترك في كل صفات اللاهوت ويبقى ناسوتاً.**

الأسقف: أنا غير مستعد لأن أقبل «كل صفات اللاهوت». يعني صفة «غير المحدود»، فهل صار الناسوت «غير محدود»؟ هذا تعليم القمص متى المسكين.

د. جورج: الأب متى المسكين لم يقل، ولم يكتب بالمرة إن ناسوت الرب يسوع هو ناسوت «غير محدود»، بل قال إن جسد المسيح، أي الكنيسة تملأ السماء والأرض، أي القديسين الذين في السماء والقديسين الذين على الأرض. واسمح لي أن اعترض على عبارة «غير المحدود»؛ لأن هذا التعبير بالذات لا يخص اللاهوت المسيحي، ودخل إلى الكتابات المسيحية في العصر الوسيط. إن ما لدينا هو تعبير «الملء»، ويوجد فرق كبير بين «مالئ» السموات والأرض، و«غير المحدود».

الأسقف: ولكنك لا تعني برفضك هذا المصطلح أن الله محدود.

د. جورج: بكل يقين لا أرفض هذا المصطلح، ولكن أريد أن أسأل محبتكم: أليس ''غير المحدود'' هو تعبير خاص بالكم والحجم؟ وما هو روحي هو فوق الكم والحجم. الروح لا سيما روح الله موجودٌ في كل مكان، ولا يخلو منه مكان، ولكن هذا لا يعني أن الله له حجم وكم، بل يعني ما هو فوق حدود الزمان والمكان. ولذلك لم يصبح الناسوت ''غير محدود''، ولكن تمجَّد بسبب الاتحاد، وصار، أو حسب عبارة الرسول: ''يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً'' (كو ٢: ٩)، وهذا ليس عن حجم أو كم، بل هو تعبير عن ''كمال الطبيعة الإلهية'' في الابن ربنا يسوع المسيح.

أتصور – يا سيدنا – أنه توجد محاولة لإخافة الشعب في بيئة إسلامية من الشركة في الطبيعة الإلهية، وذلك بإثارة الشكوك والمخاوف من

الاقتراب من الله؛ لأن هذا الاقتراب هو الذي يشفي كل الخطايا ويحولنا إلى مجد المسيح.

الأسقف: هل لاحظت أنك تستخدم عبارة غير كتابية «مجد المسيح»، هذا أكبر مني ومنك، وهو ضد الاتضاع. حرام أن تقودوا الناس إلى هذه النهاية الشيطانية.

د.جورج: يا سيدنا إذا لم نتحوّل إلى مجد المسيح نفسه، فما هي حياتنا في الملكوت؟ هل الشيطان هو الذي قال هذه العبارة: «ونحن ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كور ٣: ١٨)؟ بل ألم يقل الرب يسوع نفسه: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد» (يو ١٧: ٢٢)؟. أنا لا أريد مبارزة بنصوص الكتاب مثل البروتستانت وشهود يهوه. أريد أن أسمع منكم هل نحن في الملكوت؟ وهل عند كمال التدبير نصبح مثل المسيح حسب نعمة الله، أم نبقى كما كان آدم الأول ولا نشترك في مجد آدم الأخير؟

الأسقف: أنا موش فاهم لماذا هذا الإصرار؟ أنت تصر على أشياء أكبر مني ومنك، ونسيت أنك تراب وإلى التراب تعود.

د. جورج: حقيقي أنا تراب، ولكن لن أعود إلى التراب، بل سوف أعود إلى الله، وإلى الحياة التي وعَدَنا بها الرب «أنا ذاهب لأعد لكم مكاناً، ومتى أعددت آتي أيضاً وآخذكم» (يو ١٤: ٢ – ٣)، ولو كان المسيح له المجد قد عاد إلى تراب لكنت وافقت سيادتكم على أننا تراب وإلى التراب نعود ... هذه العبارة قاصرة على الجسد، ولكن الروح يقول عنها الرسول بولس في العبرانيين أنها استنارت، بل ذاقت الموهبة السمائية،

وصار كل مسيحي شريك الروح القدس» (عب ٦: ٣). نحن نعود إلى روح الحياة في انتظار يوم مجد المسيح، يوم القيامة. لقد قام المسيح ولم يعد مصير الإنسان هو التراب.

الأسقف: ولكن هذا الإصرار ضد الروح المنسحقة التي تقول أنا غير مستحق. لماذا لا أسمع منك هذه العبارة، هل جعلتك المعرفة أعظم من الكل؟

د. جورج: أنا مثل كل الخطاة أريد أن أتبع يسوع، وما آخذه من يسوع لا علاقة له بقوتي – إذا كانت لي قوة – بل أتمسك بشهادة الرسول يوحنا «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١ يو ٣: ٢). وبعد ذلك يقول الرسول: «وكل من عنده هذا الرجاء به يطهِّر نفسه كما هو طاهر» (١ يو ٣: ٣). وأذكر عبارة لأبي العظيم القمص ميخائيل إبراهيم نيَّح الله نفسه، إذ قال أمامي وأمام كل الأخوة في يوم سبت قبل أن يسمع الاعترافات: «**يا أخوة اللي يبص على عظمة النعمة تهون عليه شهوات الدنيا كلها، زي واحد شحات عرف أنه هيبقى ابن الملك، وعلشان كده مش بس بطَّل شحاته، ولكن نضَّف نفسه واستعد. خليكوا مستعدين زي كل واحد مدعو إلى وليمة العرس؛ لأن اللي دخل وليس عليه ثياب الوليمة طُرِد. المسيح إلهنا يرحمني ويرحمكم**».

التواضع كما أعرفه من الكتاب المقدس والآباء هو أن أعرف تماماً مقدار عظمة نعمة الله التي لم تُعطَ لنا عن استحقاق، أمَّا أن أجعل التواضع حجة لرفض النعمة، فهذا خطير جداً، وضار في زمان يُحارَب فيه المسيح في كل بلد. إذا لم أكن مدعواً إلى مجد السماء، فما هي عظمة النعمة التي ليس لها علاقة بما نفكر فيه وما نستطيع عمله؟

الأسقف: إذن أنت ابن الله؟

د. جورج: نعم في يسوع المسيح.

الأسقف: إذن أنت مساوي للمسيح؟

د.جورج: نعم حسب التدبير، أي حسبما أُعلن، وليس حسبما أتخيَّل. حسب النعمة وليس حسب التهور. حسب الشركة وليس حسب شهوة الامتلاك.

لديَّ سؤالٌ يحيرني، بل يفرض موضوع السؤال عن كل ما يقال عن الشركة في الطبيعة الإلهية نفسه، وهو: ما هو غرض الصلاة والنسك والشركة في الأسرار في الأرثوذكسية؟ ولاحظ يا سيدنا أنا احدد موضوع البحث بالأرثوذكسية. يعني – من أجل الإيضاح، لا من أجل المقارنة – ما هو الفرق بين صلاة مسيحي حقيقي، ويهودي حقيقي؟ أي ما هو الفرق بين العهد الجديد والعهد القديم في موضوع الصلاة؟

الأسقف: عبادة العهد القديم كانت حسب الظلال والرموز. أمَّا عبادة العهد الجديد، والأصح العبادة في العهد الجديد هي حسب الروح والحق كما قال الرب يسوع نفسه.

د. جورج: جيد. هذا تمييزٌ هام. ولكن ما هو الفرق الحقيقي بين الاثنين؟

الأسقف: نحن نعبد حسب الروح.

د. جورج: ما هو المقصود بـ حسب الروح؟

الأسقف: أعتقد الروح القدس؛ لأنه لا يوجد لدينا سوى روحٌ واحد، هو روح الله القدوس.

د. جورج: كيف نعبد حسب الروح القدس؟

الأسقف: أحنا أخدنا الروح القدس.

د. جورج: آسف للمقاطعة. من مين؟

الأسقف: من مين؟ يعني تقصد أيه؟

د. جورج: يعني مين أعطانا الروح القدس؟ لأنه لم يأتِ من نفسه، بل جاء حسب وعد الرب يسوع، ويسوع هو الذي سكب علينا الروح القدس (أع ٢: ٢٣).

الأسقف: يا سيدي ودي تفرق؟ يعني تعمل فرق؟

د. جورج: أيوة؛ لأن مجيء الروح القدس وانسكابه في يوم العنصرة كان ولا يزال لكي يكمل، أي يتمم عمل المسيح كوسيط بين الله والإنسان.

الأسقف: ودي يعني تهمنا في أيه؟

د. جورج: مهمة جداً؛ لأن صلتنا بالمسيح يسوع هي من خلال أو بواسطة الروح القدس. إخوتنا البروتستانت عندما يقولون هل ليك صلة شخصية بالمسيح؟ أو هل قبلت الرب يسوع مخلصاً؟ عادةً ما ينسى المتكلم صاحب هذا السؤال، الروح القدس، ويصبح الإيمان الشخصي هو الوسيلة الوحيدة.

الأسقف: أنا موش شايف أنت عايز أيه من النقطة دي بالذات؟

د. جورج: عاوز إنه يكون واضح إن علاقتنا بالمسيح هي بواسطة الله نفسه، أي الروح القدس. نحن نصلي للرب لأن الذي يفتح لنا مجال الصلاة هو الروح القدس، والذي يعطي لنا رجاء الصلاة هو الروح القدس، بل عندما نعجز عن الصلاة يشفع فينا الروح القدس (رو ٨: ٢٦)، وهذا يعني أنه لو كانت الشركة في الطبيعة الإلهية مقطوعة تماماً، أي لو كانت غير موجودة بالمرة لوجب علينا أن نقول إن وساطة

المسيح وحدها هي الوساطة الوحيدة، ولكن لأن الرب يسوع نفسه قال إنه سيرسل معزياً آخر، وقال ''ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويعطيكم'' (راجع يو ١٤: ١٦)، لم تعد علاقتنا بالمسيح مجرد أفكار ومشاعر وكلمات، بل هي حلول الله الروح القدس فينا لكي نصلي في الله إلى الله، أي لكي ندخل دائرة الشركة الثالوثية. ندخل في المسيح المتَّحد بالطبيعة الإنسانية التي تنوب عنا، ونبقى في الروح القدس الذي يفحص أعماق الله، ويعلن لنا كل شيء عن محبة الله. يعني الله هو الوسيلة إلى الله.

الأسقف : أنت موش شايف إن عبارة «تأليه الإنسان» تضُرَّنا، ونحن في مجتمع مسلم يحارب العقيدة المسيحية بكل الوسائل؟ أنت موش مسئول عن شعب، وإحنا لم نسمع هذه العبارة إلاَّ من الأب متى المسكين. وعندنا أجيال لم تسمع هذه الكلمة «تأليه» بالمرة، وأنت بتحب الصلوات الطقسية، فأين وردت هذه الكلمة في القداسات أو صلواتنا الأرثوذكسية؟

د. جورج: سيدنا. أنت سألت ثلاثة أسئلة في وقت واحد.

السؤال الأول عن المجتمع الإسلامي في مصر. هذا المجتمع لن يهادن المسيحية، ولن يتخلى عن نظرته للتعليم المسيحي كله: الثالوث – تجسُّد الابن – الصَّلب – القيامة – لاهوت الرب يسوع – لاهوت الروح القدس. نحن لا نكتب أو نتكلم لكي نجامل، ولا تظن أن التخلِّي عن أي عقيدة سوف يزرع السلام بين المسلمين والمسيحيين.

السؤال الثاني، الأب متى المسكين جاء بدعوة تعريب ونشر كتب الآباء، وهو ليس مسئولاً عن هذه الكلمة، أي كلمة «تأليه» هذه

الكلمة موجودة في كل كتابات الآباء، وعليك أن تختار أياً من الآباء ابتداءً من القديس إيرينيئوس.

الأسقف: ولكن مين قال إن دي هيَّ كتابات الآباء، موش جايز إن الكاثوليك والبروتستانت زوَّروها؟

د. جورج: سيدنا. هذه الكتابات معروفة في الكنائس الأرثوذكسية اليونانية وغيرها. ولا توجد فقط في أيدي الكاثوليك والبروتستانت. كانت كتابات الآباء معروفة للآباء، ولذلك نجد اقتباسات كثيرة من كتابات الآباء في مؤلفات القديس كيرلس السكندري وغيره، ولا تزال مخطوطات بعض كتابات الآباء في المتاحف لا يجرؤ أحد على أن يزوِّر ولو سطر واحد منها. هذا ادعاء يصدر عن عدم دراسة، ولا يختلف عن ادعاء بعض المسلمين بأن الإنجيل محرَّف.

أمَّا عن الصلوات الطقسية، فإن لدينا عدة كلمات لاهوتية دقيقة جداً في القداسات تؤكد الشركة في الطبيعة الإلهية دون أن تستخدم الكلمة الآبائية «تأليه»، وهي في التسبحة السنوية وطقس المعمودية والميرون والقداسات الثلاثة[1].

الأسقف: حلو. هات بعض هذه العبارات.

د. جورج: سيدنا. إن العبارات الخاصة بمكانة مريم والدة الإله هي خاصة بالنعمة: «أنت يا مريم متسربلة بمجد اللاهوت داخلاً وخارجاً». ولو راجعنا الصلوات التي تقال أثناء الدهن بالميرون لوجدنا: مسحة مقدسة – دهن الحياة الأبدية ... إلخ ثم بعد ذلك ينفخ الكاهن

(١) مع ملاحظة أن هذه الكلمة وردت في نهاية طرح آدام الأحد الثالث من الخمسين المقدسة: "قام الملك المسيح من القبور عربون التأله والقيامة الأبدية". راجع إبصاليات وطروحات الأعياد السيدية والمواسم الكنسية – الطبعة الأولى ١٩٩٣م – تقديم نيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السريان العامر – الناشر: رابطة مرتلي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٥٣٠.

ليعطي الروح القدس لمن نال سر المعمودية ... هل الشركة في الحياة الأبدية والمسحة الإلهية هي من الخارج فقط، أم أنها من الداخل والخارج؟ ثم أن ما هو أهم من هذا، هو كيف دخلت كلمات الرسول بولس «ورثة الله» (رو ٨: ١٧) في صلاة الخضوع قبل التناول «يا الله الذي أحبنا هكذا وأنعم علينا برتبة البنوة لكي ندعى أبناء الله. ونحن وارثون لك يا الله الآب وشركاء في ميراث مسيحك»، وبعد ذلك «إذ نصير شركاء في الجسد وشركاء في الشكل»، أي شكل المسيح نفسه حسب صلاة القسمة التي تقال في فترة الخمسين المقدسة «ونحن أيضاً الجلوس في الظلمة زماناً أنعم علينا بنور قيامته من قِبَلِ تجسُّده الطاهر. فليضيء علينا نور معرفتك الحقيقية لنضيء بشكلك المحيي». إذا لم نصبح شركاء ميراث المسيح، وإذا لم ننل ذات الشكل العديم الفساد الذي لا يقوى عليه الموت ... إذا لم يكن هذا هو الواقع الروحي السماوي الذي نعيشه، فما هو التعليم الصحيح؟ كيف أشترك في شكل المسيح على النحو الذي نراه في كورنثوس الأولى ١٥ عن المجد والقوة وعدم الفساد؟

لقد قرأت ملاحظة الأنبا شنودة نفسه عندما اقتبس كلمات النبي «ومجدي لا أعطيه لآخر» (أش ٤٢: ٨)، والتي استنتج منها أنه لا يوجد لنا مجد؛ لأن الله لا يقبل ذلك، ودُهشت لأن كلمة المجد وردت حوالي ١٥٠ مرة في العهد الجديد. كيف استطاع الرسول أن يقول عن المعمودية إننا «كما قام المسيح بمجد الله الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في الحياة الجديدة جداً» (رو ٦: ٤)؟ وحتى لا يلتبس المعنى، يطلب الرسول استنارةً لنا لكي نعلم ما هو غنى مجد ميراثه في القديسين. والرب يسوع نفسه يقول: «أعطيتهم المجد الذي أعطيتني»

(يو ١٧: ٢٢)، بل عندما يمجِّد الرسول بولس الحياة الأبدية يقول عن الرب يسوع إنه «آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد» (عب ٢: ١٠)، بل يقول الرسول بطرس إن «روح المجد والله يحل عليكم» (١ بط ٤: ١٤). ألا تكفي هذه العبارات؟ كيف وصف الرسول نفسه بأنه «شريك المجد الآتي والذي سوف يُستعلن» (١ بط ٥: ١)؟ إن المجد هو من الله نفسه؛ لأنه هو الذي يمجِّدنا «هؤلاء مجَّدهم» (رو ٨: ٣٠). عندما نسحب هذا الأساس من تحت أقدام الشعب، فماذا يبقى لهم؟ وما هي القوة الروحية التي تجعل هؤلاء ثابتين في الرب؟ حرام أن يدمَّر التعليم الرسولي بسبب عداوة وأحقاد تنصَّب على دير الأنبا مقار الذي لا ذنب له في كل ما أصاب الكنيسة من أحداثٍ جسام.

الأسقف: كويس أنك بتحب الأب متى المسكين، ولكن عبادة الأشخاص هي نوع من الوثنية.

د. جورج: هل كتب الأب متى المسكين رسائل القديس بولس؟! وهل هو الذي كتب كلمات السيد المسيح في إنجيل يوحنا في الإصحاح السابع عشر؟! ألا ترى أن حصر الكلام حول شخصٍ ما، هو خروج على مبدأ هام في المسيحية والأرثوذكسية، وهو ضرورة حصر الكلام والشرح على ما هو ثابت ومدون، وعليه إجماع لا سيما من آباء الكنيسة؟

عندما كتب الأنبا شنودة أنه من المحال أن يكون أحد آباء الكنيسة قد كتب أو علَّم عن تأليه الإنسان، كان قد وضع **أولاً**: تعريفاً لسقوط الشيطان وآدم بأنه اشتهاء الإلوهة. وهذا خطأٌ واضحٌ. ومن عبارات سفر التكوين لم يكن سقوط آدم هو اشتهاء الإلوهة، بل أن يعرف الخير والشر، وأن تصبح معرفة الخير والشر هي الطريق إلى

الإلوهة، وهي هنا إلوهة مزيفة.

ثانياً: فرض الأنبا شنودة رأيه على التاريخ والكتاب المقدس والآباء، لمجرد أنه اقتنع بشيء وتصوَّر أن مركزه كأسقف الإسكندرية يسمح له بفرض رأيه على كل الذين سبقوه من الآباء لا سيما أثناسيوس. ولذلك السبب لا بُد من دراسة كاملة موثقة عن القديس أثناسيوس والشركة في الطبيعة الإلهية[٢].

الأسقف: يا أخ جورج أنت مُتحامل على قداسة البابا شنودة.

د. جورج: أبداً. أنا أُحب الأنبا شنودة، ولكن الأنبا شنودة لا يحب الآباء، ولا يذكر عبارة واحدة من آباء الكنيسة عندما يكتب أي شيء. هو يثق بفكره الخاص. والخطأ الجسيم هو فرض هذا الفكر على غيره ولو بالقوة.

الأسقف: إزَّاي بالقوة؟

د. جورج: يعني توافقني على ما أقول، وإلاَّ أحرمك. أنا سمعت منه هذا الكلام شخصياً.

الأسقف: هل أنت توافق على تعليم أبونا متى المسكين؟

د. جورج: أي تعليم تقصد؟ ورجائي تحديد واضح لهذا التعليم.

الأسقف: إننا وُلِدنا في بيت لحم، وأن بيت لحم هي مسقط رأسنا.

د. جورج: هل تستطيع أن تذكر أين وردت هذه العبارة وفي أي صفحة، وفي أي كتاب؟ أنا أعرف أن الأب متى لم يقل بالمرة إننا ولدنا في بيت لحم، وإنما قال إن بيت لحم هي مسقط رأس البشرية المفتداة. وهذه عبارة

---

(٢) صدرت بالفعل دراستنا عن الشركة في الطبيعة الإلهية دراسةٌ للأصول الرسولية الأرثوذكسية للخلاص عند القديس أثناسيوس، وآباء الكنيسة الجامعة – ٢٠٠٧ – كما تجد هذه الدراسة منشورة أيضاً على الموقع الإلكتروني: Coptology.com

لا غبار عليها بالمرة.

الأسقف: لكن نحن لم نولد من العذراء مريم. المسيح وحده هو الذي وُلِد من العذراء.

د. جورج: أبونا متى لم يقل إننا وُلِدنا من العذراء. ويوجد فرقٌ بين أن يكون آدم الأخير الرب يسوع قد وُلِد في بيت لحم، فصارت بيت لحم، أي بيت الخبز هي مسقط رأس الخليقة الجديدة التي لا تولد من آدم، بل من المسيح وفي المسيح، وهذا لا يعني بالمرة أننا عندما نُولد من الله في ابنه يسوع المسيح وبالروح القدس، أننا نُولد من العذراء القديسة مريم.

الأسقف: أيه حكاية من الآب بالابن، وبقية العبارة؟

د. جورج: هذا تعليم كل الآباء. سيدنا، عقيدة الثالوث غابت عن فكر وحياة الكنيسة فترة طويلة، ربما بعد القرن الثالث عشر، أي بعد نياحة الأنبا بولس البوشي، ونحن موحِّدون بالله، ولا نعرف شيئاً عن الثالوث، إلاَّ أسماء الآب والابن والروح القدس.

الأسقف: يا راجل حرام عليك.

د. جورج: صدقني. هات لي كتاب واحد عربي أرثوذكسي عن الثالوث كُتِبَ منذ خمسين سنة، بلاش القرن الـ ١٣.

الأسقف: مفيش؟ تقصد مفيش؟

د. جورج: نعم. والذين يهاجمون أبونا متى المسكين لم يشرِّفنا أي واحد منهم بكتاب عليه القيمة يعيد إلينا تعليم الآباء. عموماً المشكلة الحقيقية كما أراها هي كالآتي:

أولاً: ضياع مكانة الإنسان في المسيح. ومحاولة اعتبار الخلق الجديد عمل قاصر على الابن المتجسد، كما لو كان الرب يسوع قد جاء

من أجل نفسه، ومن أجل خلاصه هو، أو لكي يخلِّص الآب من مشكلة الغضب على الخطاة.

ثانياً: ضياع النعمة نفسها. بدليل أن أي كلام عن الولادة الجديدة، أو الخليقة الجديدة يُحارَب على أنه بدعة، أو أنه تعليم البروتستانت.

ثالثاً: الشركة في الطبيعة الإلهية هي المركز الذي يجمع كل هذه الموضوعات: الأسرار الكنسية – اتحاد اللاهوت بالناسوت – سُكنى الروح القدس، وأنت عارف الجدل العقيم عن الأقنوم والمواهب.

الأسقف: يا أخي حاسب. ده معنى كلامك إننا شطبنا على كل شيء.

د. جورج: صدقني، شطب الأنبا شنودة، وانضم إليه في الشطب الأنبا بيشوي و الأنبا يوسف.

الأسقف: إزَّاي؟

د. جورج: بكل صراحة يا سيدنا: إمَّا أن الله الابن الوحيد تجسَّد لأجل خلاصنا، واتحد بالإنسانية لكي يعيد الإنسانية إلى الله، أي «أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له»، أخذ بدايتنا عندما تجسد وأخذ الطبيعة القابلة للموت ومات بها على الصليب وأعطانا الذي له، أي أعطانا الميلاد الجديد، وأباد الموت على الصليب، وردَّ لنا حياة الخلود بالقيامة، وأقام جسدنا المائت ومجَّده بالصعود إلى السموات.

الأسقف: (مقاطعاً) كويِّس. فين بقى الشطب؟

د. جورج: الشطب هو الإنكار الصريح والعلني بأننا نشترك في حياة الله. هذا إنكارٌ صريح لأهم ما جاء به الإنجيل.

الأسقف: يا أخ جورج أنت سريع في اتهامك، وأنت مُتحامل على قداسة البابا.

د. جورج: أبداً. قداسة البابا وقع في تعليم نسطور عن الإفخارستيا، وقال ذات

عبارة نسطور لكي ينكر تماماً أي إمكانية للشركة في الطبيعة الإلهية؛ لأنه بينما نقول إننا نتناول جسد ودم عمانوئيل إلهنا، وبالتالي نتناول ونشترك في المسيح الإله المتجسد، قال الأنبا شنودة: «اللاهوت لا يؤكل». ومحدش قال إنه بياكل اللاهوت، لكن اللاهوت لا يؤكل مقصود بها إنكار الشركة في اللاهوت وليس الدفاع عن طبيعة اللاهوت. وعندما قال نسطور إن العذراء القديسة مريم ولدت الإنسان لأن اللاهوت لا يولد، لم يكن قصد نسطور أن يمجِّد لاهوت ابن الله، بل أن ينكر الاتحاد الأقنومي، أي اتحاد اللاهوت بالناسوت.

الأسقف: يعني أنت تتهم قداسة البابا شنودة بالنسطورية؟

د. جورج: أبداً. هو من اتهم نفسه، وهو الذي جاء بهذا الدليل الغريب، ولذلك لم نسمع لا من أبونا متى، ولا من رهبان دير القديس الأنبا مقار من قال إننا نولد من العذراء، ولكن آدم الأخير «الرب من السماء» (١كور١٥: ٤٧)، جاء ووُلِد لكي يؤسِّس خليقة جديدة تولد ميلاداً ثانياً من فوق على شبه ميلاده لكي يرفع الإنسانية من البداية القديمة، الولادة الجسدانية التي تصوَّرها نيقوديموس (يو ٣: ٣) إلى الولادة التي يبشِّر بها الإنجيل، وهي ليست من دم ولا لحم، ولا بمشيئة رجل (يو١: ١٣ - ١٤). ليست من دم ولحم، أي ليست من الخليقة، ولا من ثمرة زواج، ولا بقدرة إنسانية، بل من الله. هذه البشارة تنطبق على ميلاد الابن الوحيد بالجسد؛

لأنه في مقابل الدم واللحم: الروح القدس.

وفي مقابل مشيئة رجل: الروح القدس.

ولذلك يقول أثناسيوس: إن الرب حوَّل بداية الجنس البشري إلى ذاته عندما وُلِد من عذراء بالروح القدس.

الأسقف: لكن أنت موش بتقول إننا نولد من جوهر اللاهوت؟

د. جورج: سيدنا. ما هي الولادة من الله؟

الأسقف: ولادة معنوية.

د. جورج: تقصد غير حقيقية ومجرد فكرة أو وهم أو ظن؟

الأسقف: لا طبعاً.

د. جورج: إذن ما هو المقصود بالميلاد من الله الآب حسب كلمات الإنجيل «أمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنين باسمه» (يو ١: ١٢)؟ ما هو هذا السلطان أو هذه القدرة الفائقة التي يعطي بها الآب المؤمنين بيسوع أن يصيروا أبناء الله؟ أنا خايف من تحويل دعوة الإنجيل من شركة حياة في الآب بواسطة ابنه إلى دعوة أخلاقية مثالية لا أساس لها في الله نفسه، وهنا يصبح التجسُّد والصلب والقيامة وحلول الروح القدس بلا فاعلية وبلا هدف، مجرد إعلانات عن الله لا تمس الحياة الإنسانية ولا تحوِّل كيان الإنسان من آدم إلى الله المتجسِّد. صدقني هذه نكبة كبرى أن تُضرب المسيحية من داخل الكنيسة نفسها. يعني موش كفاية هجوم الإسلام علينا، لأ، نحط إحنا عليه «نسف» الإنجيل من داخل الكنيسة بدعوة هدامة نسمعها ليس من المسلمين، بل من المسيحيين.

الأسقف: بس يا أخ جورج أنت عارف أن الشركة في الطبيعة الإلهية هيَّ دعوة خطيرة جداً.

د. جورج: آسف للمقاطعة. والصَّلب دعوة خطيرة جداً، والثالوث

دعوة خطيرة جداً، وسُكنى الروح القدس فينا دعوة خطيرة. يبقى علينا نسيب كل هذه العقائد علشان نتصالح مع المسلمين. أنت عارف إن فيه واحد بيقول لأحد الأساقفة يا خالي، وأن أخت هذا الأسقف مسلمة، وهذا شأنها، وشأن الأسقف، لكن عندما يحاول هذا الأسقف أن يُبعد كل الفروق بين المسيحية والإسلام، فإن السكوت والصمت هو مشاركة إيجابية ضمنية بالموافقة.

كويس أن قدسك خايف من نقد الإسلام، لكن ماذا سوف يحل الخوف من مشاكلنا العقائدية مع الإسلام؟ هل حذف الصليب يأتي بالمصالحة؟ هل إنكار الثالوث يفيد في علاقة جيدة مع المسلمين؟ ثم ليه حشر الإسلام في موضوعات خاصة بالحياة المسيحية؟ هل كلام قداسة البابا شنودة بأن التعليم بالشركة في الطبيعة الإلهية هو شرك يحاربه الإسلام يعني أن أثناسيوس وكيرلس وأنطونيوس الكبير وكل الآباء كانوا مشركين؟ وهل يجوز استخدام الإسلام كمرجع يشرح الإيمان المسيحي لا سيما علاقة الإنسان بالله؟

الأسقف: طبعاً لأ. لكن ماذا تقصد بالولادة من الله؟ أنا سألت عن الولادة من جوهر اللاهوت ولم تعطني إجابة شاملة. أنا مستعد أن أسمع منك. ماذا تقصد بالضبط؟

د. جورج: هل كلمة جوهر اللاهوت كلمة مخيفة لدرجة أننا – بسبب الخوف من هذه الكلمة – ننكر النعمة؟ يا سيدنا أيهما أعظم: كلمة «حياة»، وعبارة «شركة في الحياة الأبدية» أم كلمة فلسفية مثل كلمة «جوهر»، استُخدمت في قانون الإيمان للدفاع عن إلوهية الرب يسوع؟ بلاش كلمة «جوهر»، مع أننا لو قلنا أننا نُولد من جوهر اللاهوت أي من

حياة الله نفسه، فإننا لم نأتِ بما هو جديد أو غريب.

الأسقف: فين ده في الكتاب المقدس؟

د. جورج: في يوحنا ١: ١٣، وفي الرسالة الأولى ليوحنا «الذي سمعناه ... الحياة الأبدية التي كانت عند الآب ... لكي يكون لكم شركة ...». وفي الرسالة الأولى ليوحنا ٣ «نحن الآن أولاد الله ...»، ثم يقول بعد ذلك إنه عند استعلان ربنا يسوع المسيح «سنكون مثله».

الأسقف: أنا عاوزك تحدد. هل توجد فروق بيننا وبين المسيح ابن الله الحي؟ أصل عبارة «سنكون مثله» لا تعني إزالة الفروق.

د. جورج: طبعاً فيه فروق كبيرة جداً، ولكن المشكلة هي أننا لم نحاول دراسة الكلمات اليونانية الخاصة بالشركة، والتي تؤكد لنا أنها شركة من الخارج σχετικως وقد تُرجمت في الدراسات الخاصة بالقديس كيرلس إلى *external relationship* والمرجع هو تفسير إنجيل يوحنا شرح الإصحاح السابع عشر المجلد الثالث ص ٢ من الأصل اليوناني. وأتمنى أن أرى ترجمة كاملة لشرح هذا الإصحاح.

نحن لنا شركة من الخارج σχετικως

الابن له المجد له شركة حسب الطبيعة φυσικως

ولكن عندنا شرح لوقا ٢٢: ١٧ — ٢٢ الترجمة الإنجليزية ص ٥٦٩ والطبعة الحديثة *Reuss* ص ٢٠٩ [٣].

"الله الآب وحده هو بالطبيعة الحياة، ووَلَدَ الابن، وأشرق وله ذات الحياة، ومن المستحيل أن يكون الابن غير ذلك؛ لأنه يولد جوهرياً من الذي هو الحياة. وهو يجب — وأنا أقول يجب — أنه هو أيضاً الحياة؛ لأنه ينبع من الحياة،

(٣) تم قراءة النص من الترجمة الإنجليزية، ولكن عند تفريغ الشريط وضعنا الترجمة العربية.

أي من الذي وُلِدَ منه. هكذا يعطي الله الآب الحياة لكل الكائنات بواسطة الابن في الروح القدس. وكل كائن حي في السماء وعلى الأرض نال وجوده وحياته من الله الآب بواسطة الابن في الروح القدس. لذلك لا الملائكة بالطبيعة، ولا أي كائن آخر مهما كان من المخلوقات ولا كل من خُلِقَ من العدم وجاء من العدم إلى الوجود له الحياة كثمرة من طبيعته *as the fruit of own nature* بل بالعكس تنبثق الحياة *life proceeds* كما قلت من الجوهر الذي يعلو على الكل والذي له وحده الحياة، وهو وحده القادر على أن يعطي الحياة لأنه الحياة بالطبيعة".

١- إن ما يُوهب للخليقة التي خُلقت من العدم هو ما يحفظ الخليقة في البقاء والحياة، أي أنها عكس الحياة الإلهية كائنة بإرادة الله وهبة الحياة، بينما الله كائنٌ بحياته التي لا تُعطى له من آخر. ولعلنا عندما نسمع السؤال: من خلق الله؟ أو كيف جاء الله إلى الوجود؟ نرى في هذا السؤال حقيقة كياننا الذي جاء بواسطة آخر، وهو ما لا ينطبق على الله بالمرة. والحياة أو الجوهر الإلهي هو فوق الإدراك، وما يعلو على الإدراك يعلو أيضاً على كل تحديد أو تعريف.

٢- ما يمكن أن يقال ويُنطق به ونستطيع أن نضعه في عبارة أو كلمة هو مطلوب وضروري، ولكن ما يعلو على النطق ويفوق الإدراك نعبِّر عنه بكلمات تحتوي على النهي عن التعريف كما جاء في صلواتنا: "غير المدرك – غير المحوى – غير المتغيِّر"، بل وعندما نقول: "الله العظيم الأبدي"، بل وحتى في المحبة المعلَنة "وليس شيءٌ من النطق يستطيع أن يحد لجة محبتك للبشر"، فإننا بكل تقوى أرثوذكسية نتوقف عن التفكير والتحديد وندخل بمعونة الروح القدس إلى أعماق

السر الإلهي إلى ''الدهش المطلق''، أو إلى ''الثاؤريا'' التي تعلو على المعرفة الآتية من الحواس.

الأسقف: أنت كدا بتهرب من الجواب، أقصد الإجابة، وتحتمي بالسِّر والدهش والثاؤريا.

د. جورج: أبداً. عندي سؤال: هل تستطيع أن تحدد لي معنى «الأبدي»؟

الأسقف: طبعاً. الأبدي هو غير المحدود والغير الزماني؟

د. جورج: شايف. قدسك رجعت للتعريف السلبي؛ لأن «غير» تعني ما هو مختلف عن المحدود، وعن الزمان. يعني ما لا يمكن تحديده. وإذا رجعنا للشركة من الخارج نجد أربع نقاط أساسية للتمييز بين الابن كلمة الله والمؤمن:

١- الشركة من الخارج تعني أننا لا نملك الحياة، بل الحياة هي التي تملكنا، وهذا يعفي كل خائف من الأوطاخية، أي تحوُّل المخلوق إلى خالق؛ لأن — حتى — ناسوت الابن المتجسِّد لم يصبح لاهوتاً، بل تألَّه، أي تمجَّد بصفات اللاهوت، والتي هي بالتحديد: عدم الألم — عدم الموت — عدم الاحتياج إلى الماء والطعام والهواء وسائر الأشياء التي تغذِّي الإنسان.

٢- الشركة من الخارج هي نعمة، والنعمة تعني ما يضاف ويعطى، وليس موجوداً أو كائناً في الأصل. وأفضل مثال هو نعمة سُكنى الروح القدس فينا بواسطة الرأس يسوع المسيح ربنا. هذه نعمة أُعطيت لنا، وليس لها في الكيان الإنساني نفسه أي أصل. وعندما تضاف النعمة أو تُعطى، فهي تبقى كنعمة، لا تتحول إلى الطبيعة المخلوقة فتصبح مخلوقة من العدم، كما أن الطبيعة المخلوقة التي تنال النعمة لا تصبح خالقة.

عندما تجسد الابن له المجد وأصبح إنساناً، صار الناسوت – حسب تعبير أثناسيوس في كل مؤلفاته، وفي تجسد الكلمة – *organon* أي أداة أو وسيلة يعمل اللاهوت المتَّحد بها من خلالها، وتشترك هذه الأداة في كل شيء وتبقى الطبيعة المخلوقة التي تنال الحياة من أقنوم الكلمة وتصبح معه واحداً، ولكن تظل إنسانية رغم الاتحاد والمجد. وعندما نقول إن الرب يسوع المسيح هو:

"واحد من اثنين.

لاهوت مساوي للآب.

ناسوت مساوي لنا كالتدبير".

فإن الاتحاد لم يُلغِ الطبيعة الإنسانية، بل مجَّدها. وعلى هذا المثال نسير نحن ونطلب – بتقوى – أن نكون مثله دون أن نحدد كيف ومتى ... إلخ لأن هذا سوف يُعلن كاملاً في اليوم الأخير.

الأسقف: أنا لازم أقاطعك؛ لأننا نرى فينا وفيك الضعف والخطية. فكيف نكون مثله ونحن خطاة؟

د. جورج: يا سيدنا، الخطية لا تشرح الخلاص، بل الخلاص هو الذي يشرح الخطية.

الأسقف: يعني أيه؟

د. جورج: يعني الخلاص لا يُعطى حسب خطايانا، بل يُعطى حسب نعمة وغنى ومحبة ورحمة الله الآب.

الأسقف: أيوة موافق، ولكن ماذا عن الخطية؟

د. جورج: الخطية هي المرض، والنعمة هي الصحة، وأثناء العلاج لا يشرح المرض كيف يعمل الدواء، بل يشرح الدواء سبب المرض. لو سمحت نرجع

إلى ما قلناه، وهي النقطة الثالثة:

لم يأتِ الخلاص بإلغاء الفوارق بين الإنسان والله؛ لأن تلاشي الإنسان في الطبيعة الإلهية هو هرطقة أوطاخي، وهذا ليس الخلاص، بل «عدم»، أي «انعدام الطبيعة المخلوقة». ولم يرفع المسيح الحواجز التي تفصل بين الخالق والمخلوق، بل مجَّد هذه الحواجز عندما رفع حكم الموت والدينونة وفتح لنا باب الحياة الأبدية. وحسب مثال الخلاص نفسه، أي الرب يسوع، جاء لكي يجدد «صورة الله»، وذلك بأن أخذ «صورة العبد»، ونزل إلى أعماق حقارتنا وجعلنا بذلك نرى فيه هو كيف تُرفع صورة العبد إلى صورة الابن. لقد أعطانا نعمة التبني فيه لكي ننال فيه هو «البكر بين إخوة كثيرين» ذات الصلة التي له بالآب، ولذلك قال: «لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم إرادة سيده». إن ما خُلِق على أو حسب صورة الله لا يصبح الله، بل يظل الصورة؛ لأن تحوُّل الصورة إلى الأصل يعني انقضاء النعمة، ويعني أيضاً أنه لم يكن هناك خلاص ولا تجديد. وإذا كانت كلمة «الخلاص» لا تكفي، فإن كلمة «تجديد» تؤكد أن ما خُلِق من العدم ورُفِعَت عنه الدينونة والموت وأُعيد إلى شركة الله هو بكل يقين مدعوٌّ لأن يكون إلهاً كصورة الله.

الأسقف: هذا لا يكفي لأنك تدور حول النقطة الأساسية، وهي أن الإنسان صورة الله، وهو لذلك إلهٌ.

د. جورج: هذا تعليم الروح القدس نفسه؛ لأن الإنسان خُلِقَ على صورة الله، هو ما ورد في الكتاب المقدس.

الأسقف: نعم في البر والحق والقداسة.

د. جورج: جيد جداً. هل يمكن لمن خُلِقَ من العدم أن ينال أو يتقدَّس بوسيلة

مخلوقة؟ هل توجد قداسة مخلوقة، وأخرى غير مخلوقة؟ هذا التمييز اللفظي يهدم كل شيء. لنقرأ هذه الفقرة من شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس عمود الدين:

> «**عندما صار الابن الوحيد مشتركاً في الدم واللحم، أي عندما صار إنساناً، ولأنه بالطبيعة الحياة ومولود من الذي هو بالطبيعة الحياة، أي الله الآب، واتَّحد باللحم الذي يفنى حسب قانون طبيعته، لكي يجدده ويرده إلى حياته الخاصة ويجعله – بالاتحاد به – شريكاً في الله الآب. لقد لَبِسَ طبيعتنا لكي يجددها ويعيد تكوينها إلى حياته الخاصة. وهذا ما يفعله معنا وفينا لأننا جميعنا شركاء فيه وهو فينا بالروح (القدس)، لذلك السبب صرنا «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢ بط ١: ٤) وحُسبنا أبناء، وفينا الآب نفسه من خلال أو بواسطة الابن**» (شرح يوحنا ١٤: ٢٠ – النص اليوناني في مجلد ٢: ٤٨٥ – ٤٨٦).

هذه هي مفردات الشركة في العهد الجديد حسب الأصل اليوناني:

– **الفعل**: κοινωνεω ويوجد في المواضع الآتية:

رو ١٢: ١٣ – ١٥: ٢٧ ، وغلا ٦:٦ ، وفليبي ٤: ١٥ ، و١ تيمو ٥: ٢٢ ، وعب ٢: ١٤ ، و١ بط ٤: ١٣ ، و٢ يو ١١.

– **الاسم**: κοινωνια ويوجد في المواضع الآتية:

أع ٢: ٤٢ ، رو ١٥: ٢٦ ، ١كور ١: ٩ – ١٠: ١٦ ، ٢كور: ٦: ١٤ – ٨: ٤ – ٩ ١٣: ١٣ ، غلا ٢: ٩ ، فليبي ١: ٥ – ٢: ١ – ٣: ١ ، فليمون ٦ ، عب ١٣: ١٦ ، ١ يو ١: ٣ – ١: ٦.

– **يشترك أو ينال شيئاً**: μετεχω ويوجد في المواضع الآتية:

١كور ٩: ١٠ – ١٠: ١٧، ٢١، ٣٠ ، عب ٢: ١٤ – ٥: ١٣ – ٧: ١٣.

وعندما يحارب القديس أثناسيوس الأريوسية، يقول: "إن شركة الابن في الآب ليست شركة خارجية، بل شركة في جوهر الآب" (المقالة ١: ١٥ – ١٦).

وقد ميَّز القديس أثناسيوس بين الشركة في الجوهر على مستوى أقانيم الثالوث، والشركة حسب النعمة في أكثر من موضع، وهي:

ضد الوثنيين ٤٦: ٨ — ضد الأريوسيين ١: ٩، ٣٧ — ضد الأريوسيين ٣: ١ ، ١٧، فقرات ١٩ — ٢٠ — الرسائل إلى سرابيون ٢: ٤ [٤]

وللقديس أثناسيوس عبارة مشهورة:

"**نحن نتألَّه** Θεοποιουμεθα **ليس بالشركة** Μετεχοντες **في جسد إنسان، بل بقبول جسد الكلمة نفسه**".

(مجلد ٢٦: عامود ١٠٨٨ رسالة إلى مكسيموس).

وفي شرح إنجيل يوحنا ١: ٣ يؤكد القديس كيرلس أن الابن:

''**يعطي الحياة الأبدية لمن لا يملكون الحياة الأبدية لكي يبقى كل منهم محفوظٌ في حدود طبيعته**''.

(مجلد ١: ٧٤).

بل يقدِّم نص الإنجيل ١: ٣ — ٤ على هذا النحو مع مراعاة أن الفواصل وضعت حسب الأصل اليوناني:

"**ما هو مخلوق، فيه كانت الحياة، لأن كل الكائنات المخلوقة تأخذ حياتها من الحياة**" (مجلد ١: ٧٦).

"**لأن ما ينال الحياة بالشركة ليست له حياة ذاتية كحقٍ له** αυτοκυριως " (مجلد ١: ٧٨).

الأسقف: لكن هل أنت تنكر أن علاقتنا بالرب هي علاقة فكرية، وعاوز تحط اللاهوت محل العقل والقدرات الإنسانية زي العواطف؟ أنا عاوز رد مباشر على النقطة دي لأن على ما يبدو لي إن دي هي النقطة الأساسية في الخلاف حول موضوع الشركة في الطبيعة الإلهية.

(٤) ملحوظة هذه الشواهد والمراجع وُضعت بعد تفريغ الشريط.

د. جورج: هذا بيت القصيد. هل أفهم من كلام قدسك أن الإنسان المسيحي له علاقة بشرية بالله؟

الأسقف: نعم. وهل ده غلط؟

د. جورج : لأ موش غلط، ولكن هذا لا يكفي. لو سمحت يبدو لي أننا لم نستوعب بعد، التعليم الأرثوذكسي عن التجسُّد. ماذا تقصد الكنيسة من اللحن الذي يعود للقديس أثناسيوس، بل إلى الرسول بولس نفسه: «أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له». هذا التبادل هو الذي جعل صلتنا بالمسيح ليست بشرية فقط، بل أيضاً إلهية. التجسد يعني أن الله جاء إلينا وأعطانا حياةً جديدةً.

أنا درست صلوات المعمودية لمدة ثلاث سنوات في جامعة كمبريدج، ولازم أحط قدام قدسك صلواتنا القبطية كما وردت في البرديات، وأقدم المخطوطات، وهي لا تختلف عن الصلوات المطبوعة.

تقول الطلبة الأولى بعد قبول الموعوظ:

– «أجعلهم مستحقين للنعمة التي تقدموا إليها. لينالوا من روحك القدوس ويمتلئوا من قوتك الإلهية، ويكونوا متشبهين بابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح صائرين واحداً معه».

ألا تعلن هذه الكلمات أن الموعوظ آتٍ من عبادة الأوثان إلى شركة كاملة في المسيح بالمسيح يسوع؟ لأن بعد ذلك تقول الطلبة الثانية:

– «من أجل عبيده ... لكي يفتح مسامع قلوبهم ويضيء عليهم بنور المعرفة».

هذه المعرفة هي نعمة الاستنارة التي يعطيها الروح القدس التي تجعل الموعوظ آتٍ من الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، ومن

الضلالة إلى معرفة الحق. يعني لازم نشوف إن الإنسان لا يأتي إلى المسيح بقدراته الإنسانية. ده كلام خطير لأن معناه أن الإنسان يعرف المسيح بدون النعمة. وصلوات المعمودية بعد جحد الشيطان، وفي الطلبة الأولى تقول:

– «أيها السيد الرب الإله .... الذي خلق كل شيء. الذي أعطيت معرفتك للكائنين على الأرض بواسطة ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح الذي هيَّأ لهم السموات بالدعوة وثبَّتهم بقوته ... أدعُهم إلى نورك الطاهر (المعمودية) واجعلهم أهلاً لنعمتك العظيمة. عرِّهم من عتيقهم. وجدد حياتهم. املأهم من قوة روحك القدوس».

ده كلام وعبارات رسولية وآبائية يطول الوقت لشرحها. ولكن يا سيدنا بعد هذا تقول الصلاة:

– «أملأهم من قوة روحك القدوس .... لكي لا يكونوا بعد أبناء الجسد، بل أبناء الحق».

هذا يعني أن معرفتنا بالله الآب وبالابن وبالروح القدس ليست معرفة جسدانية. ولذلك في الصلاة الثالثة تطلب الكنيسة:

– «هيِّئ أنفسهم لكي يقبلوا روحك القدوس».

الامتلاء من الروح القدس وقبول الروح القدس في المعمودية هو الذي يدخلنا إلى الشركة في الطبيعة الإلهية. «أبناء الحق = أبناء الله».

الأسقف: يا أخ جورج الصلوات المقدسة كلها لا تذكر الشركة في الطبيعة الإلهية. أنا موافق معاك على الامتلاء من الروح القدس وأقول لك الحق أنا أول مرة أنتبه فيها لقوة الصلوات. ماذا تقول؟

د. جورج: سيدنا. المشكلة هي أننا حصرنا الكلام حول مصطلح واحد ورد في

رسالة بطرس الثانية (٢بط ١: ٣ – ٤). لكن يجب أن نبحث عن المرادفات، وهي كما وردت في الصلوات التي قرأناها معاً هي:

- الامتلاء من القوة الإلهية.
- متشبهين بابنك الوحيد ربنا يسوع.
- صائرين واحداً معه.
- خلاصاً أبدياً. وهب لهم خلاصاً أبدياً. ولدهم مرةً ثانيةً بحميم الميلاد الجديد.
- أعدهم هيكلاً لروحك القدوس بابنك الوحيد.

وبعد جحد الشيطان والاعتراف بالإيمان:

- ليستحقوا حميم الميلاد الجديد.
- اللباس غير الفاسد.
- ويلبسوا لباس الخلاص.
- بنيناً لخدرك السماوي.
- وارثين لملكوتك غير الفاسد.

ماذا يمكن أن نضيف إلى كل هذا؟ صدقني إن هذه الصلوات كافية لأن تذيب الصخور.

هل كل هذه العبارات هي عن شيء مخلوق من الكون، أم هي من الخليقة القديمة التي خلقت من العدم، أي آدم الأول؟ أنا موش عارف أيه السبب الحقيقي في مقاومة التعليم الرسولي؟

الأسقف: يا أخي محدش بيقاوم. أقول لك الحق: أحنا موش فاهمين بعض. مفيش حوار سابق ومفيش دراسات.

د. جورج: ومين المسئول عن ده؟ موش أبونا متى المسكين، ولا أنا. مين كان

لازم يجمع الناس ويسأل ويبحث؟ موش أنا العلماني اللي طردني الأنبا شنودة من الأكليريكية، ومن الكنيسة بعد كده.

الأسقف: بلاش الموضوع ده لأنه موضوع حزين وكله خطية. خلينا في الموضوع الأصلي؛ لأني بصراحة لأول مرة، والسبب هو أنني لم أُصلِّي صلوات المعمودية، كان الكاهن هوَّ اللي بيصلي وأنا أجي أعمِّد، ولذلك لم أنتبه إلى قوة الصلوات.

د. جورج: أنت عارف أن بداية أي شيء في الحياة المسيحية هو سر المعمودية الذي يُمارَس بلا عناية، وبلا إعداد، وفي سرعة، ولذلك فقدنا رأس الموضوع، وهو الحياة الجديدة التي جاء بها الرب يسوع المسيح وأعطاها لنا.

ماذا يمكن أن يكون وراء «وارثين لملكوتك غير الفاسد»؟ أو «لباس الخلاص»؟ أو «اللباس غير الفاسد»؟ لدينا اختيارين: الأول هو أن نعود بالمعمودية إلى الخليقة الأولى ونبقى فيها، وبالتالي تصبح المعمودية مسرحية هزلية لا تضيف إلى الوجود الإنساني أي شيء ....

الأسقف: (مقاطعاً) يا أخ جورج بلاش عبارة «مسرحية هزلية»؛ لأن صاحبك الأنبا بيشوي هيقول شوفوا بيقول إن المعمودية مسرحية هزلية (الأسقف يضحك).

د. جورج: سيدنا كويس أنك بتضحك على المسخرة والهزل اللي بنقدمها للناس. لكن الاحتمال الأول يعني أننا نمارس شيئاً بلا فاعلية. لماذا نؤمن ونعتمد إذا كنا سنبقى في: العبودية — الفساد — الموت — الظلمة؟

أمَّا الاحتمال الثاني، فهو الإنجيل: التبني — وراثة الملكوت، وهذه العبارة بالذات هي خلاصة التعليم بالشركة في الطبيعة الإلهية، يعني كيف نرث الملكوت حسب تعبير الرسول بولس «وارثون لله بيسوع

المسيح» (رو ٨: ١٧). ونحن دُعينا لأن نجلس على عرش الابن كما جلس الابن على عرش الآب حسب عبارة الرب نفسه في سفر الرؤيا (رؤ ٣: ٢١).

كيف سندخل الحياة الأبدية التي تبدأ هنا وتكمل بالقيامة في اليوم الأخير إذا كنا سنبقى كما كان آدم بعد السقوط؟ ولماذا تؤكد الكنيسة الأرثوذكسية، أي كل الأرثوذكس أن الرب بالقيامة «ردَّ آدم وبنيه إلى رتبته الأولى»؟ ما هو المقصود من كل هذا؟ أليست هي الحياة التي لا تفسد، وهي حسب عبارات الرسول بولس نفسه عن القيامة:

يُزرع في ضعف يُقام في قوة.

يُزرع في هوان يُقام في مجد.

يُزرع في فساد يُقام في عدم فساد.

إذا وضعنا القوة — المجد — عدم الفساد معاً، أليست هذه هي أوصاف الشركة في الطبيعة الإلهية؟

الأسقف: بكل تأكيد. أنت شاطر ودرست الموضوع كويس.

د. جورج: أنا موش شاطر. أنا شاهد، وأنت شاهد على التعليم، ولازم تشهد؛ لأن انعدام الشهادة معناه ضياع التعليم. وقدسك عارف أن حشد الناس في مؤتمرات، والمظاهرات الصاخبة وتحريك الغوغاء لا يحل أي قضية لاهوتية، بل يؤكد ضعف وهزالة المعارضين.

الأسقف: أنا موافق. لكن إذا حبيت تحط كلام بسيط عن الشركة في الطبيعة الإلهية، نقول أيه للراجل الطيب اللي عاوز يحضر القداس وياخد لقمة البركة وشوية الميَّة (الماء) اللي بنرشه بعد القداس؟ عندنا ناس بتقول إن الميَّة دي هي «صُرة» القداس، ويجوا (يأتون) في الآخر عشان رش

الميَّة، دول تقول لهم أيه؟

د. جورج: البداية هي في شرح المحبة الإلهية، الله اللي تنازل إلينا وأخذ صورة العبد علشان يرفعنا إلى رتبة التبني. وبعدين علينا نقول للناس دول أيه هيَّ صورة الحياة الأبدية.

الرب يسوع المسيح قال: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله»؛ لأن الحصول على كل ما هو مخلوق لا يعطي حياة أبدية للإنسان، ولذلك يقول الرب يسوع بعد ذلك: «وماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟»، فإذا كان الإنسان عاجزاً عن البقاء إلى الأبد بقدراته، فإن نعمة الله تعطي للإنسان ما يفوق هذه القدرات.

ماذا تقول صلوات المعمودية عن الشركة في الطبيعة الإلهية:

- «عظهم بنعمة روحك القدوس ليكونوا في الموهبة غير الفاسدة التي لروحك القدوس.

  أعدَّهم هيكلاً لروحك القدوس.

- أجعلهم مستحقين للنعمة التي تقدَّموا إليها، ولينالوا من روحك القدوس وليمتلئوا من قوتك الإلهية، ويكونوا متشبهين بابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح صائرين واحداً معه».

لاحظ يا سيدنا:

- نوال الروح القدس
- الامتلاء من القوة الإلهية
- التشبُّه بالابن الوحيد
- صائرين واحداً معه

وأنا أريد أن أقف قليلاً عند «صائرين واحداً معه». هل هذه وحدة جسدانية أم أنها وحدة روحية حسب عبارة الرسول: «أمَّا من التصق بالرب فهو روح واحد»؟ وكيف نصبح واحداً معه حسب الجسد فقط؟ لقد صار جسده واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، وهذا يعني أن الجسد المحيي للرب يسوع صار مثل اللاهوت يعطي نعمة الحياة.

الأسقف: لكن هل يصبح جسدنا نحن «محيي» بالاتحاد بالمسيح؟

د. جورج: أبداً. عارف ليه؟ لأن الشركة ليست حسب التصوُّر الأوطاخي، أي شركة يتم فيها ابتلاع الله للخليقة على غرار ذات تصور أوطاخي الذي تخيل أن ناسوت الرب ذاب في لاهوته. عارف كل المشاكل دي جت من فين؟ من سقوط الأنبا شنودة ومعه عدد من الإكليروس في بدعة سابيليوس، وهي أن الآب هو الوجود، والابن هو العقل، والروح القدس هو الحياة. وطبعاً نحن لا نشترك في صفات الوجود والعقل والحياة، بل نولد من الآب بالابن في الروح القدس. يعني نحن لنا الوجود المخلوق من العدم الذي لا يحتاج إلى أن يكون مثل وجود الله نفسه؛ لأن وجود الله هو الجوهر الإلهي نفسه، وهو الوجود المشترك للآب والابن والروح القدس، ولكن نحن نحتاج إلى الخلود، أي أن يصبح وجود الإنسانية يشبه وجود الآب والابن والروح القدس، أي يكون وجودنا وجوداً مخلوقاً مضافاً إليه الخلود وعدم الموت. هذا ما حدث لناسوت المسيح. فقد أخذ جسداً مخلوقاً من والدة الإله، جسداً مثل أجسادنا، ولكنه «كُوِّنَ» بواسطة الروح القدس، فنقل الابن الوجود الإنساني من العدم إلى الروح القدس، ثم مُسِحَ هذا الناسوت بالروح القدس لكي ننال نحن فيه هذه المسحة، وبه غلب

الربُ الموتَ على الصليب وأعطاه الخلود وعدم الفساد وعدم الألم.

كل تحوُّل في ناسوت الرب هو تحول الناسوت إلى مجد اللاهوت وقوته لكي يتألَّه هذا الناسوت ويكون رأساً جديداً للإنسانية.

الأسقف: ده مقبول. لكن هل نصبح مثل الرب يسوع؟

د. جورج: ماذا تقصد بالسؤال؟ لأننا يجب أن نحفظ الفرق بين إله متجسِّد هو ربنا يسوع المسيح، وبشرٍ متألهِّون بالنعمة، وهم أعضاء جسده، يعني أن التجسد هو تنازل الابن الوحيد إلى حقارتنا، أمَّا التألُّه فهو تحول الطبيعة الحقيرة الإنسانية إلى طبيعة ممجدة.

الأسقف: ده كويس وحلو. وأنا موافق، لكن كيف نعود إلى هذا التعليم؟

د. جورج: سيدنا أنا أصدرت كتاب «المعمودية في القرون الخمسة الأولى» كمحاولة لبعث وإحياء المعمودية ومراجعة الفوضى التي تحدث في «أحد التناصير». لا بُد من كتابة أسماء طالبي العماد — الأشبين — إعداد الكل للمعمودية. لا مانع من بقاء «أحد التناصير»، لكن ليس بالشكل الفوضوي الذي يهين نعمة الله. من هنا نبدأ ... بالتعليم عن التبني وإزالة كل ما رسب عندنا من عادات وأفكار وفدت إلينا من البيئة الإسلامية.

الأسقف: طيب أرجع للسؤال اللي عديت عليه، تقول أيه للراجل الطيب اللي جاي علشان لقمة القربانة ولقمة البركة؟

د. جورج: أبداً، بالتعليم عن مركز ومكانة الإنسان في يسوع المسيح ومصدر هذا المركز، ومركز ومكانة الابن الوحيد، ثم أشرح موضوع الخلاص، وهو المحبة الثالوثية.

الأسقف: تقصد أيه بالمحبة الثالوثية؟

د. جورج: طبعاً الآب والابن والروح القدس هم شركة المحبة، وهؤلاء الثلاثة يفتحون لنا هذه الشركة لكي ندخل ونشترك فيها. الثالوث هو حركة المحبة الإلهية. الولادة الأزلية للابن هي إعلان عن النموذج الذي سوف تتبعه الخليقة لتكون مثله. انبثاق الروح القدس هو إعلان عن عطية أزلية تنالها الخليقة لكي تكتشف في الأبدية أعماق الله غير المعلنة في الأسفار والتي أُعلنت لنا في يسوع المسيح، ولكن كمال إعلانها هو في الدهر الآتي.

الأسقف: يا أخ جورج أرجو أنك تكون موش زعلان مني.

د. جورج: أبداً موش زعلان، وأحب أأكد لك أنني كنت أستطيع أن أشتكي في المحكمة – محكمة العمل – ولكن اللي حقه عند يسوع ملك الدهور لا يضيع حقه. على العموم حاللني.

الأسقف: الله يحالك ويكون معك.

ملحق

رسالتان للمطران جورج خضر

رسالة إلى أسقف

سيدي، هل يلوم الابنُ أباه؟ شكواي إليك أنك الخِصمُ والحَكَمُ.

الخِصمُ لأبنائك جميعاً؛ لأنك صرتَ على جانبٍ من الضعف هو إلى الخطيئة أدنى. ومأخذي عليك أنك تحتمل الأشرار وتزاملهم ولا عهد لهم ولا ضمير، وأنت تعلم لمن هم حلفاء، وأنهم يقوّضون بيتنا الذي تسللوا إليه خُلسةً. لقد شُلَّت يدك فباتت غير قادرةٍ على حمل سيف الحق، وهم يقهقهون في رقصة الشياطين الكبرى إذ كان لهم ما أرادوه بعد أن أثاروا شهوة المشتهين فانقلبت لمصلحتهم خيانة.

أكتب إليك وقد تركت عائلتنا في مهب الريح. **إنها عائلةُ الله العظيمة التي أمست – بسبب اللصوصية من جهة، والجزع من جهة أخرى – بلا قيادة.**

قيادةُ أشلاءٍ هذه التي أنت منها بعد أن اجتازتها المحنة وتآكلها القلق. الأشرار وحدهم يجعلونها قيادةً غير تافهةٍ، فإن عندهم الجد ولهم أصول. فقد تعلموا المعصيةَ وفقَ قواعدَ موضوعية، معروفة بأصول، وأنت لم تتعلم أن تجعل فكرك قوةً. لقد ساقوك كما يُساق الصبيان إلى أهدافهم. فإنك – شئت أم أبيت – موضوعياً، حليفهم.

فَشَلُكَ روعةٌ من روائع جهنم، عيدٌ في الجحيم. سياسةُ أعدائك متعةً للذهن، مُنيةً للذوق، خلابةً ورساليتك الألفاظية لا تجذب أحداً.

لقد أظهرتك الأزمةُ عادياً، أقلَ من عادي، رازحاً تحت ماضيك، غارقاً في حاضرك، تتطلع بغَصَصٍ إلى ما يأتي، إلى ما قد يداهمك في إنسانيتك الأليف. أنت تعاني في الصميم ما يعانيه كل مخلوقٍ معذَّبٍ تنتابه الشدة وتهاجمه الرغائب.

ولذا أكتب إليك.

خبرتي للإنسان علَّمتني أن أعرِّيه. فالخطيئةُ لا سِّر لها عندي. فبيني وبينها حَنين. مارستني وتدرَّبتُ على معرفتها في الناس سنين طوال. أمامها ينهار الجميع. ولذا أضحك في سري عندما أراك تخفيها وراء الأقنعة العديدة التي تصطنع. العيوب لا يخفيها برقعٌ. هذه العيوب أوصلت عائلتنا إلى ما نحن فيه من ضيق.

أفهم أنك، مثل كل الخلائق، دميةً بيد الشيطان، ضحيةً من ضحايا هياجه الكوني، صغيرٌ بين الصغار. إذا علوت عرشك، فلا تعلو سوى درجات تُقاس. وإذا استلمت عكازك، فلست بمَلِكٍ. أنت عبدٌ لشهواتك ككل العبيد. ولكنهم دعوك إلى عرشٍ لتتعلم السمو، ووضعوا في يدك الصولجان لتقود نفسك والرعيةَ إلى حيث يحلو لله أن تكونا.

أنا لا أُشكِّكُ فيك إذا لمست معاصيك، فالتحليل يشرِّحك كما يشرِّح الآخرين. هذا لا يُعثرني بعد أن عرفتُ ألاَّ أفتش عن القداسة حيث الناس. السماء، ليس ما يشير إلى أنها مليئةٌ بالكهنة أو برؤساء الكهنة.

لعل التجربةَ تزداد بنمو المسئولية، ولعل الذين أوصلوك إلى هذه الرتبة، أبلغوك المقام الذي أنت فيه لشهوةٍ في النفس.

لا ينفعنا الآن أن ننبش الموتى.

أنت الآن هنا، والتراث يقول إنك أبي. الإنسان لا يختار أباه. وقيل لي دائماً أن لك قدسيةً، **وأنا أمامك أنحني ولا بد أن أنحني من جديد؛ لأنك تجيء من الذبيحة وتُرفع إليها؛ لأن فاك يتلو كلمات الخلاص، ويديك تلامسُ جسدَ الإله.**

أعرف كل ذلك في تمزُّقي ولا أدين. أعرف أن ذلك سيستمر، إن الخطيئةَ ستطلع منك، وخوفي عليك أن تلقى وجه ربك غير تائبٍ.

لا شيء يحلو لي كما يحلو رجوعك، وألمي في هذا أنك لم تُصارع الشَّر، وأنك استسلمت إليه فتحكَّم بك تحكُّم الإخطبوط في الجسد العاري. ومع ذلك أحلُمُ بعودتك. أقول في نفسي: ماذا حلَّ بأبي؟ إن له كليمات عذاباً تنم على أن نفسه عرفت وداعة المسيح، وأنه ولىَّ وجهه شطر الجمال الأبدي. لقد ذهب أبي أيضاً في طرق السوء مع الذين لا إله لهم بعد أن غنَّى الإله. ماذا حلَّ بأبي؟

لقد افترقنا إلى أن تتوب. إلى أن تكتشف بساطة المسيح، بلورية المسيح. كم وددت أن تكون على الجرأة والصدق اللذين اقتطفناهما من معاشرة السيد. ولكنك تخاف. تخشى الناس الذين يُنسب إليهم وجود. تخشى الأشياء التي تحسب أنها فاعلة. أنت علَّمتني أن الحكمةَ في مخافة الله الذي لا نُشرك به سلطاناً في السماء وعلى الأرض. وإذا بك هاجسك السلاطين كأنك نسيت أن «كلَ بشرٍ عشبٌ». لا أستطيع أن أتلو عليك صفات الله الذي «يجعل الزعماء كل شيء». حسبي أن أُذكِّرُكَ محبتك الأولى للمعلم الذي يؤتيك في تعبك قوة، وإذا فقدت القدرة يكثِّر لك الحول فلا تعيى في الطريق ولا تعثر عثاراً.

أدعك الآن لأنك خفت الأشرار، وأنت بالطبع تحسب أنك حفظت العائلة. بالواقع، فَتَحَتَ بابَ بيتنا على مصراعيه للعدو. فتحته ليتربع وكنت مِن طَرَدِهِ قابَ قوسين أو أدنى، ولكن للشيطان سحره.

ماذا نفعل حتى تجمع العائلة والأولاد جاعوا، وليس من يطعمهم خبزاً؟ المجاعة آنية. من يحتمل مسئوليتها بعد تخاذلك؟ أدعك وحدك أن تتدبر الأمر بفطنتك. أدعك إلى الفطنة التي قادتنا إلى حيث نحن. تجربتي أن أترك لك أبوَّتكَ. لست أنا الذي بعتها لخصوم الدار. أنا ذاهبٌ إلى الصحراء حيث أدعو الله أباً. نزفٌ موصولٌ أنك ضللت. أنك تركتنا نجوع.

العائلةُ شردت بضعفك، ستُتابع سيرها بانعطاف الفادي. جيلاً بعد جيل أهملها

أقرانك الذين سمّوا أهوائهم بمختلف تسميات الفضيلة. **أعلم أن الذين يبكون يعمّدون الحياة**. قد تردُّك هذه الدموع لو رأيتها. عند ذاك، الذهب الذي أُكْدِر فيك، يعود ذهباً مصفى، وتبيِّضُ ثيابك وأنت من جديد على جبل التجلي.

المطران جورج خضر

حديث الأحد – الدينوالأديان رقم٢ – منشورات النور ١٩٨٥

ص ١٢٧– ١٣١

رسالة ثانية إلى أسقف

سيدي، اليوم يجب أن يطمئن قارئي إلى هويتك. يطالعني فضوليون وينبغي أن أقيم لهم حساباً. فبادئ بدء لا مفر من تذكرتك أني أديبٌ أو أني أتأدب هنا، ولذا أتيت أنت صورةً أدبيةً. أنت، جملةً، صنيعتي الأدبية. ولكني لا أتعاطى الأدب من أجل نفسه. وفي التمثال الذي أصوغ أود أن تتعرف ملامحك.

أنا أهوى الجمال لكوني محباً لله. لهذا تؤذيني القباحات التي جعلتها في لوحتي. ولكني رأيتها لأني مضطر أن أشبِّهك ''بأسقف نفوسنا العظيم''. ما ظلمتك إذا وجدت في لوحتي خطوطاً انطبقت عليك. حق حقيقتك عليك إلاَّ تغفل عما شملك من وصف لئلا تكون قد ضيَّعت وقتي عليَّ وأعرضت عن فرصةٍ نادرةٍ تتعرى فيها أمام عينيك.

أمَّا بعد، فقد أصابك ذهولٌ لأني بحثت في قضايا العائلة في صحيفةٍ سيارة. **أنا أخشى يا سيدي أن مَن يدعونا ألاَّ نغسل الملابس القذرة أمام الناس يريد أن تبقى الملابس قذرةً. يشكِّكُه النشر ولا تشكِّكُه القذارة.**

ثم هل لعائلتنا لسان حالٍ نكتب فيه؟ ولو كان لها ذلك فهل تسمح للأبناء أن يتحدثوا وأن يشتكوا أم أن عليهم أن يتألموا ويعبُّوا ألمهم صابرين؟ الكلمةُ وقفٌ على الأساقفة وعلى الوجهاء الذين تسمح لهم أن يؤنبوك، فبينك وبينهم حلف. ولكن الأصاغر مثلي عليهم فقط أن يطيعوا، فإنهم بذلك يتقدسون. وإن غيرتك على الصغار وفضائلهم لعظيمة. أنت تجيز للصغار الغباوة.

نعم أنا أكتب في أمور الكنيسة للناس جميعاً؛ لأن الكنيسةَ قلبُ الكون؛ لأن أزمتها الدنيا وانفراجها سلامة للعالم.

ثم واحدٌ تعجَّب أني وجَّهتُ إليك رسالتي عند هبوب العاصفة في بيتنا.

متى تهدأ العاصفة؟ في موضعٍ في الإنجيل قيل إن الرياح سكتت لمَّا أُوقظ يسوع في السفينة. هل دعوت أنت وأقرانُك المسيحَ لتجعلوه سيِّد السفينة؟

العالم كله يا صاحب السيادة، دميةُ شيطانٍ والعاصفة قائمةٌ إلى الأبد. وإنها اليوم فيك. أمَّا أنا فأكتب إليك لكوني في صفاءٍ راجياً أن توبِّخني إذا ما خضعتُ للهوى. «**إن الحقيقةَ ليست لزمن آتٍ. الحقيقةُ لا يسعها الانتظار**». بيني وبينك هي الصلة.

أنا لا أخاف على شيء؛ لأني لا أملك شيئاً، ولست طامعاً في شيء. هذه حقيقتي وأنت صديقي إذا قبلتها. وحسبي رضاء الله واستغفاره إن أنا زللتُ. **أنا مؤمنٌ ولذلك أتكلم**. الحياء والانزواء طبيعتي، ولكني لا أستطيع الصمت الآن ولا غداً، فقد وُضِعَ النير عليَّ وأطعمني الله كتاباً. أكله جوفي وملأ عظامي كلها. وأنا مضطرٌ على إذاعته لئلا أموت. لا أقدر أن أختار بين الكلمة والخَرَس، فإذا «لم أتكلم منذراً المنافق بشِّر طريقه ليحيا، فذلك المنافق يموت في إثمه». أنا كنت أود أن أقضي حياةَ ترفٍ واسترخاء، ولكني عاجزٌ عن ذلك. **لست أنا سيد المخاض الذي يحل بي. لست أنا الذي وضعت المسيحَ في جوفي ولست حراً أن أَلِدَهُ أو لا أَلِدَهُ في الناس وأنا في وجعٍ حتى ينطلق.**

بعد هذا لا معنى لِما يُقال حولك من إني عنيفٌ.

متى كان الحقُ طلياً؟ أتدعوني أن أكون فاتر الدعوة؟ إذن يتقيئني ربك من فمه. وما كانت انتفاضتي سوى وليد تلك المحبة الأولى التي جمعتنا والتي «تجعلنا أن نريد الإنسان الآخر ينبوع غنىً لا ينقضي».

أنا أحبك سيدي. لذا أكره سيئاتك. أقسو عليك حتى لا يبقى فيك سوءٌ؛ **لأني أريدك أن تبني التاريخ، أن تتعملق لتدرك ذاك الذي تصاعد من بعد قيامته حتى الجلوس عن يمين العظمة. أريد لك العظمةَ الحق؛ لأني أعرف الكنيسةَ مكانُ**

التجليات، منطلق الخلق والفتح المبين.

عما تحاسبني أنت؟ تحاسبني أني ذو رؤية، وأني أريدك على مدى الرؤية؟

أجل أرى الكنيسةَ دائماً كبيرة، أراها «السيدة المصطفاة»، وأُحب أبنائها في الحق «لأجل الحق الذي يثبت فينا». لذلك لا أطيق زيغانكَ عن هذا الذي يجمعنا إليها، عما يبرر وحدة قيام مسئوليتك. شراكتنا أنا وأنت في الإخلاص «للذي أحبنا وأسلم نفسه عنَّا». **فإذا بلغت أنت من الغفلة ما يجعلك عن مسئوليتك غريباً أتريدني أن أُداعبك؟ أفلا أكون قد خرجت عن الوفاء الذي يفرض علينا ألاَّ «نطلب مجداً بعضنا من بعض»؟** لا أنا لست مستعداً اليوم ولا غداً أن أسكت عن الفساد الذي قد يدُبُّ فيك لتتأمل نفسك تأملَ الغانيةِ أمام المرآة وتُعجبُ بملامحَ ليست على القدر الذي تظن من البهاء.

حَطِّم المرآةَ. فعلى قدر معاشرتك المعلم تصبح على صورته. هذه قضية محاكاة. عند ذاك لا يهمك أن تبقى متمطرناً. تكون قد تجاوزت أدب المظاهر. إن أنت صرت في الأعماق يكون هاجسك كيف تصير إلى القداسة. عند ذاك فقط تكون قد بلغت قامة الأسقفية.

المطران جورج خضر

حديث الأحد – الدينوالأديان رقم٢ – منشورات النور ١٩٨٥
ص ١٣٣– ١٣٦